معركة الزلاقة 479 هـ/1086م
دراسة في الإستراتيجية والتكتيك

الأستاذ/ بولعراس خميسي
جامعة سطيف 2

الملخص:

تعتبر معركة الزلاقة 479 ه (1086 م) معلما من معالم التاريخ العسكري الإسلامي لما حققته من نتائج ذات أبعاد سياسية ، ورسمت خارطة جديدة بمنظور إسلامي . كما بينت هذه المعركة للآخرالمستشرق وجود مدرسة عسكرية منظمةذات أهداف عليا ، وذلك لما إحتوته المعركة من نجاحات تكتيكية تدل على معرفة المرابطين بفن الحرب وإدارة المعركة ورسم الخطط والتشاور وفعالية جهاز الجوسسة وتحريك القوات في المعركة وتوزيعها والتخصص في توظيف السلاح . كل ذلك جعل من المعركة نموذجا في التفوق التكتيكي الذي أغفل عنه الكثير من الباحثين .

لقد دأبت أقلام الباحثين والمؤرخين على دراسة المعارك الإسلامية في الفترة الوسيطة بمنهج سردي وكرونولوجي طغى عليه الطابع الافتخاري البطولي الأسطوري، فكان طرحا مراهقا حبيس إيديولوجيات بعيدة عن المنهج العلمي، وهذا ما تفتقده الدراسات اليوم في المواضيع العسكرية، خاصة وأن التراث العسكري الإسلامي المخطوط في الفترة الوسيطة تقدم لنا مادة يمكن أن نستأنس بها ونعيد من خلالها قراءة جديدة ذات رهانات.

فمن خلال هذه القراءة وجدنا في تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط معاركا وجب إعادة قراءتها قراءة عسكرية ممنهجة بعيدة عن التقليدية في الطرح[1].

ولعل معركة الزلاقة تمثل أنموذجا حيا في الحضور الأدبي والغياب العسكري من ناحية الطرح.

فما مدى حضور الاستراتيجيات والخطط العسكرية في هذه المعركة ؟

وما هي رهانات هذه القراءة ؟

قبل التطرق لمعالجة هذه الإشكالات وجب أن نوضح بإيجاز مفهوم الإستراتيجية والتكتيك.

فالإستراتيجية هي فن المواجهة بالوسائل الملائمة وهي الدراسة والمقارنة وتهيئة الأسباب والتخطيط والإعداد لاستخدام جميع موارد الأمة وتشمل إعداد البلاد مدنيا وعسكريا ومعرفة العدو ومخططاته ...إلخ

أما التكتيك فهو مجموع الإجراءات الهادفة إلى استخدام القوات المقاتلة وكيفية تحريكها في ميدان المعركة أي تطبيق فن كسب المعركة [2].

يبدو لنا من خلال بحثنا في هذا الموضوع أن معركة الزلاقة 479هـ-1086م وما قدمته لنا المصادر حولها أنها من أهم المعارك ذات النجاحات التكتيكية، فمن خلال تطبيقنا المنهج الاستقرائي للمعركة أي دراسة الجزء ثم الكل ومميزات كل جزء عن طريق الاستعانة بالرسومات البيانية الرياضية، التي من خلالها يمكن تبيان:

- قوة تحمل الطرفين في المعركة (دراسة رياضية)

---

1 أنظر مثلا: مؤلفات شوقي أبو خليل حول الزلاقة والأرك والعقاب، وكذا حسن جلاب: التجليات الأدبية لمعركة الزلاقة، وكذلك صالح زهر الدين: موسوعة معارك العرب.

2 أحمد صفا، الحرب، دار الرؤية للطباعة، بيروت، ص 12، 13.

- الاستراتيجيات المطبقة فيها كالتعبئة والجوسسة والحرب النفسية والدعم اللوجستيكي وتقنية الخطة وحرب المياه والأخطاء التكتيكية في المعركة من الجانبين.

استنادا وانطلاقا من المصادر والمراجع قسمنا المعركة إلى أربع مراحل وذكر مميزات كل مرحلة واستراتيجيتها، ويمكن توضيح هذه المراحل بواسطة المخططات البيانية التالية:

المرحلة الأولى:

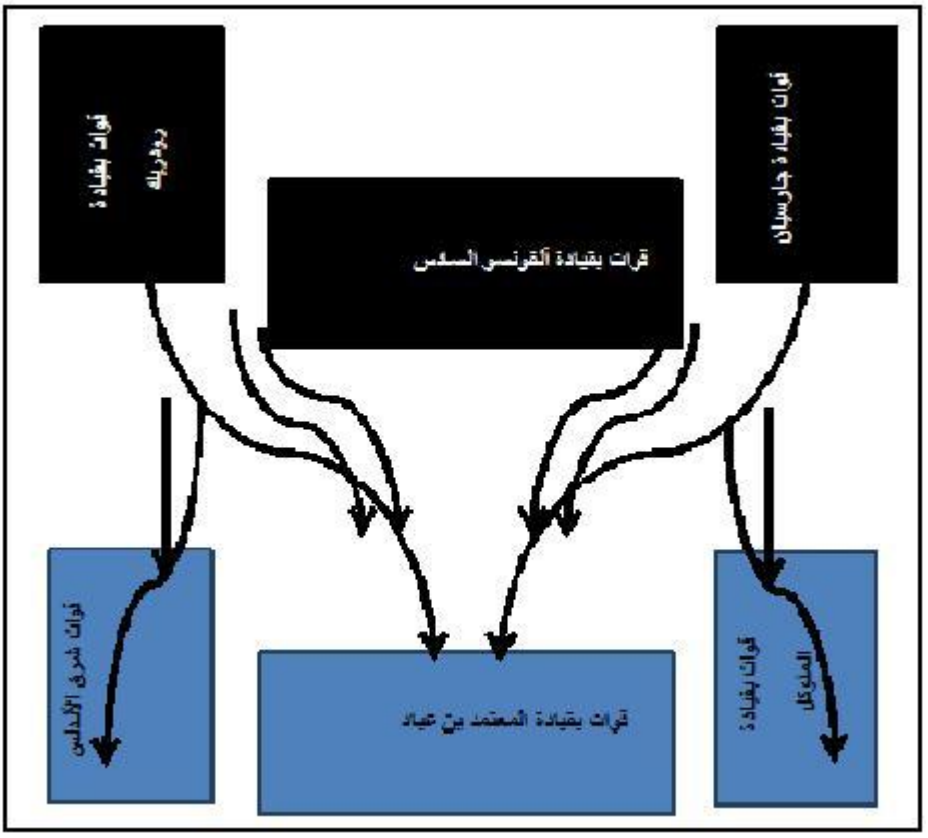

نلاحظ أن طلائع الجيش النصراني الميمنة والميسرة قد هاجمت بعنف وبشكل مفاجئ ودون إنذار القوات الأندلسية وطبقت خطة ألفونسو السادس المتفق عليها وهي الانقضاض وضرب مقدمة ابن عباد بقوة وكثافة عددية بقيادة كل من جارسيانورودريك باعتبار أن قوات المعتمد نوعية وأكثر تدريبا وعددا، وفي الوقت نفسه تخصيص قوات أقل عدد لضرب الميمنة والميسرة من الجيش الأندلسي، حيث كانت الخطة النصرانية تهدف إلى إحداث اضطراب وثغرات وتخويف للجيش الأندلسي[1].

وهذا الهجوم النصراني درس من طرف قوات الأندلسيين في مجلس الحرب، حيث كانت الخطة العسكرية الإسلامية الموضوعة تقوم على أساس أن يتلقى الأندلسيون الصدمة أو الضربة الأولى في الصدام الأول وضرورة المواجهة التكتيكية التي تعتمد على شغل النصارى بالمعركة والإطالة فيها بهدف إحداث إرهاق وتصور خاطئ للمعركة [2].

المرحلة الثانية:

في هذه المرحلة نلاحظ دخول قوات ألفونسو المعركة مما أدى إلى تأزم الوضع التكتيكي داخل المعركة وللحد من هذا التأزم قام يوسف بن تاشفين بدعم وإسناد لوجستيكي للقوات الأندلسية بقيادة داود بن عائشة بقوات تعدادها عشرة آلاف مقاتل، بسبب الاختناق والضغط اللذان حدثا للقوات الأندلسية بسبب عنف وفجائية الهجوم، وكان الهدف من هذا الدعم هو أن

(1)فتحي زغروت، الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط1، القاهرة، 2005، ص 319.

(2)يوسف أحمد حوالة، بنو عباد في إشبيلية 414-484/1023-1091، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، 1980، ص 286.

يحول دون تحقيق الأهداف الأولى للجيش النصراني وسد الثغرات عند الأندلسيين [1].

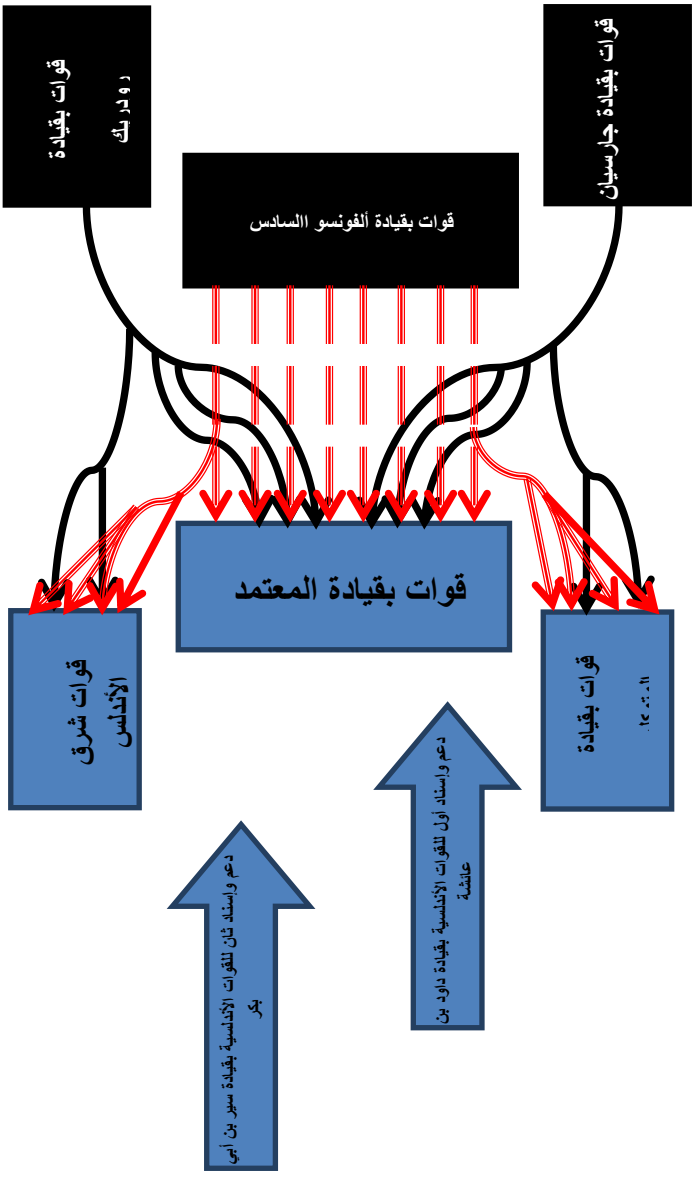

(1)فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 319، الحميري عبد المنعم، صفة جزيرة الاندلس، دار الجيل، ط1، بيروت، 1988، ص 147.

حيث حدث تلاحما كبيرا بين الجيشين في هذه المرحلة الذي يصفه ابن أبي زرع" فاقتتلوا قتالا عظيما ... وكانت بينهم مضاربة تفللت فيها السيوف وتكسرت الرماح "[2].

ونظرا للعدد الهائل للقوات النصرانية حال دون تحقيق أهداف داود بن عائشة بسبب قوة التسليح والتوزيع للجيش النصراني وسده للثغرات، وكذا حالة الارتباك في المعسكر الأندلسي، كل هذا حتم على يوسف بن تاشفين بإرسال دعم وإسناد ثان بقيادة سير بن أبي بكر يظم قبائل المغرب وزناتة والمصامدة وسائر قبائل البربر وهدفه تقديم دعم لقوات ابن عائشة وابن عباد، كما كان يوسف يهدف كذلك من هذا الدعم الثاني إلى إطالة المعركة وجعل النصارى ينشغلون بها وتأخذ جل وقتهم وكذا إرهاقهم وإنهاك قواهم، ونجحت في الوصول إلى قلب جيش النصارى[3].

في هذه المرحلة طبق يوسف بن تاشفين إستراتيجية ذكية تدل على دقة تخطيطه وهي استعمال أسلوب الاقتصاد في القوة والجهد، وهو حشد أعظم قوة تجاه الغرض الأساسي مع تخصيص القوات الأقل للعمليات الثانوية ويقوم على عدم تبديد القوى المقاتلة في مهام ثانوية والحفاظ على القوى الضاربة وحشد كل الإمكانيات وزجها في مسرح العمليات وفق الأهداف المسطرة، وهذا ما اتبعه يوسف بن تاشفين والذي يمكن توضيحه بالمدرج التكراري الآتي:

---

(2)ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وفاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص 147.

(3)المصدر نفسه، ص 148، مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وآخرون، دار الرشاد الحديثة، ط1، الدار البيضاء، 1978، ص 44، فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 319.

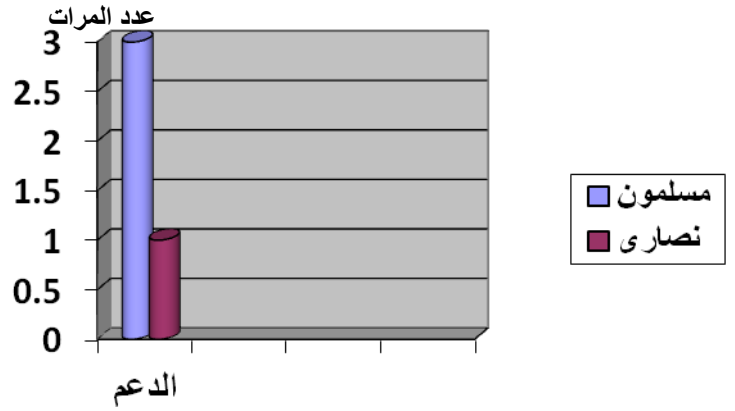

مدرج تكراري يوضح عدد مرات الدعم والإسناد خلال المعركة من كلا الجانبين

من خلال الرسم البياني نلاحظ أن يوسف دعم القوات الأندلسية ثلاث مرات تمثلت في قوات داود بن عائشة ثم قوات سير بن أبي بكر ثم دعمه هو شخصيا فيما بعد أي أنه وزع قوته توزيعا علميا دقيقا لما تتطلبه ظروف المعركة عكس ألفونسو الذي وظف 80% من قواته دفعة واحدة لأنه بنى نظريته على أسس خاطئة، لأنه كان يظن أن الجيش الإسلامي يظم الأندلسيين وقوات ابن عائشة فقط، وهو خطأ تكتيكي يقابله نجاح تكتيكي عند يوسف الذي احتفظ بقوات احتياطية وظفها في الوقت المناسب.

المرحلة الثالثة:

نلاحظ أن الاشتباك العنيف في المرحلة الثانية والمفاجئ بسبب قوة الدروع [1] أدى إلى تزحزح وتراجع قوة المعتمد وعدم استرجاع الأنفاس بسبب

(1)أطلق مصطلح الدروع عموما على القميص الذي يكسو جسم المقاتل لحمايته من أية ضربة موجهة من العدو، وقد صنعت هذه الدروع من زرد متداخل الحلقات أو من الصفائح المعدنية أو من الجلد السميك الذي يلبس تحته لباس آخر محشو بالقطن أو الطوف لمزيد من الوقاية، والدروع انواع عديدة منها السابغة التي تغطي الجسم كاملا، والبتراء أي الكاملة دون أكمام وتصل إلى الركبة، والذائلة أي طويلة الذيل، والزعفة أي اللينة الواسعة والمضاعفة أي المصنوعة من الزرد المتداخل، والنثرة أي سلة واسعة النثالة فضفاضة واسعة والمسرودة أي مصنوعة من حلقات حديدية، واللامة أي التامة بتوابعها، أنظر: محمد عبد الله سالم العمايرة، المعجم العسكري المملوكي، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، ط1، 2011، الأردن، ص 123.

الصدمة المفاجئة، كما أدت إلى تشتت الفرق الأندلسية التي فرت نحو بطليوس، والتي هالتها القمصان الحديدية فروعت ترويعا، ولكن حالة الخوف هذه شيء طبيعي يطمح صاحبه للبقاء، أما الفرار الجزئي للأندلسيين من المعركة فيفسر بسبب عدم الثقة وتباطؤ دخول قوات يوسف للمعركة أدخل الشك في نفوسهم، يضاف إلى ذلك أن الخيال الأندلسي لعب دورا كبيرا في توليد الخوف وتطوره، حيث يقول جان بيريه: " ليست الشجاعة العسكرية كما يفكر البعض تابعة لغريزة قتالية وهي تقدم فكري بقدر ما هي تقدم أخلاقي، إنها فضيلة اجتماعية في روحها " [2].

كما واصل ألفونسو السادس ضغطه حتى صار على مقربة من خيام المرابطين بسبب نوعية الفرق العسكرية المنتمية لجيشه التي تمتاز بالمهارة والتدريب، وفي لحظة انشغال ألفونسو بالمطاردة وتيقنه بالنصر عندما لاحظ تراجع وضعف المقاومة الأندلسية، حيث تمت الملاحقة حتى ابتعدوا عن معسكر خيامهم بمسافة بعيدة، في هذه اللحظة خرجت قوات يوسف ين تاشفين الاحتياطية النوعية المتخفية في الربوة فسارعت بهجوم نحو خيام المعسكر النصراني، حيث استولى عليها وأضرم فيها النيران، وهذا الأسلوب في التكتيك العسكري نسميه أسلوب المفاجئة أو المباغتة، وهو المبادرة بالعمل في الاتجاه الصحيح بطريقة تخالف توقع وتقدير العدو، وتعتبر من أهم مبادئ الحرب، ويؤدي إحرازها غالبا إلى انهيار العدو معنويا فضلا عن ارتباكه وعدم قدرته على اتخاذ إجراءات مضادة فعالة، بل إنه غالبا ما يتخذ قرارات سريعة لا تتفق

(2)جان بيريه، الذكاء والقيم المعنوية في الحرب، ترجمة أكرم ديري، الهيثم الأيوبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 1986، ص 123.

والموقف الحادث فعلا، وهذا يؤدي إلى شل عزيمته عن المقاومة، ويعتبر الكتمان وسرعة الحركة من أهم العناصر المؤدية إلى إنجاح عنصر المباغتة [1].

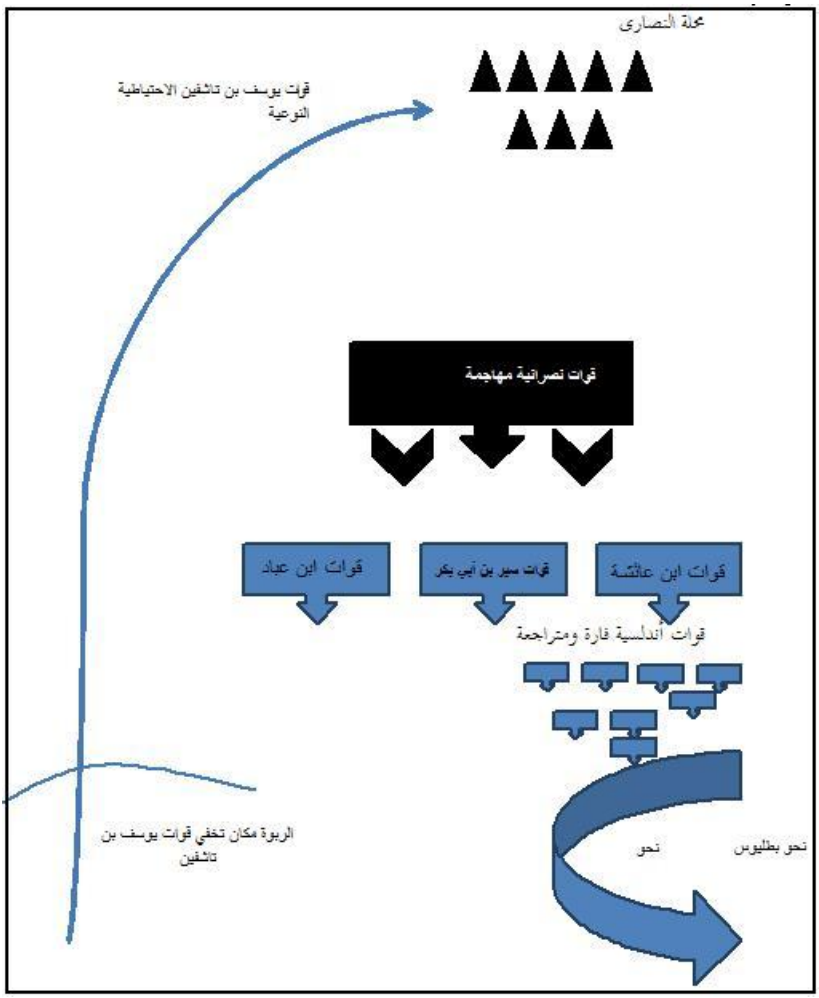

(1)عبد الرحمان عميرة، الاستراتيجية الحربية في إدارة المعارك في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006، القاهرة، ص 252، 253، بلهول نسيم، أبجديات الثقافة الحربية، دار هومة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2008، ص 16، جمال محمد الهوبي وعبد الهادي سعيد الآغا، المرجع السابق، 272.

المرحلة الرابعة:

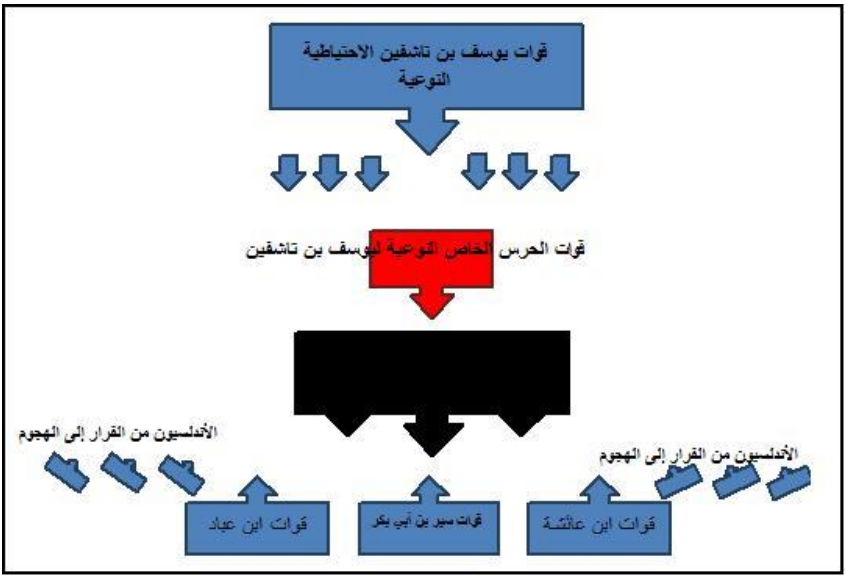

نلاحظ أن قوات ألفونسو السادس صارت بين كفي كماشة، وتم تطبيق عليها ما يسمى بأسلوب الالتفاف أو التطويق، حيث صارت بين قوات يوسف والقوات الأندلسية الفارة والمتراجعة نحو ميدان القتال، فبدأ التلاحم الحقيقي بالضرب والطعن، وفي هذه الحالة طبق يوسف تكتيك نوعي وهو إدخال فرقة نوعية من الحرس الخاص إلى ميدان المعركة يقدر بأربعة آلاف من العبيد السود، وتعتبر هذه الفرقة من أهم الفرق التي اعتمد عليها المرابطون وهو ما يعبره عنه بالجهاز الأمني وخاصة الأمن العسكري الذي يشمل الأمن الوقائي والعملياتي والشخصي، وهو عبارة عن مجموعة من الإجراءات والتدابير التي تضع القيادة والقوات في مأمن من مباغتة العدو لها [1]، حيث هذه القوة من الحرس الخاص تتألف من أشجع الجند من مختلف الولايات ويشترط في قبولهم أن يكون ذوو بنية جسدية قوية والشجاعة الفائقة، حيث يقول يوسف أشباخ:

(1)نهاد يوسف الثلاثيني، الأمن العسكري في السنة النبوية، دراسة موضوعية تحليلية، بحث تكميلي لمتطلبات الماجستير في الحديث الشريف وعلومه، الجامعة الإسلامية غزة، 2007، ص 09، 10.

" جمع يوسف بن تاشفين بواسطة تجار الرقيق في إقليم غانا عدد كبير من العبيد واختار منهم أمهرهم وزودهم بالسلاح والخيل ودربهم على جميع فنون القتال وأنشأ منهم حرسه الخاص " [2].

ويأتي ترتيبها بعد الفرسان أو في المؤخرة كقوة احتياطية وتحت إمرة يوسف بن تاشفين، وهي فرقة تتدخل إذا لوحظ ضعف أو تقهقر أو شبه هزيمة أكيدة للقوات الأمامية، حيث يعتبر دخولها بقوة وعنف على العدو أن تقرر مصير معركة الزلاقة [3] وهذه القوة يحتفظ بها في جميع الحالات الطارئة التي تقع فجأة، ويسمى هذا النوع من الاحتياط الذي اتبعه يوسف بالاحتياط الاستراتيجي [4].

واستطاعت هذه القوة أن تصل إلى قلب الجيش النصراني ويقومون بطعن ألفونسو السادس في فخذه مما أدى إلى حدوث فوضى وشلل في المقاومة النصرانية التي تم القضاء عليها بنسبة كبيرة جدا، ويظهر ذلك من خلال بقايا الفارين مع ألفونسو السادس التي تقدرها المصادر بمائة فارس فقط [1]

إن هذا الانتصار الإسلامي على النصرانية لم يأتِ عفويا وإنما جاء عن طريق مجموعة من الأساليب المحكمة التي طبقت في المعركة وتم السهر على تنفيذها، ويمكن إجمالها في النقاط التالية:

1- قوة تحمل الجيش في المعركة ويمكن تبيانه بالمنحنى البياني التالي:

---

(2)يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، ط2، القاهرة، 1996، ص 479، 480، حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 298، محمود السيد، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، ص 107.

(3)غنجق رابح، السياسة الداخلية لدولة المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين 454-500هـ/1062-1106، دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الإسلامي، جامعة قسنطينة، 1980-1981، ص 165.

(4) محمد صفا، في الحرب، دار الرؤية العلمية للطباعة والنشر، ط2، القاهرة، 1982، ص 23.

(1)ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 148، شوقي أبو خليل، الزلاقة، دار الفكر، بيروت، د.ت، ص 50، 51، 54، فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 320، 321.

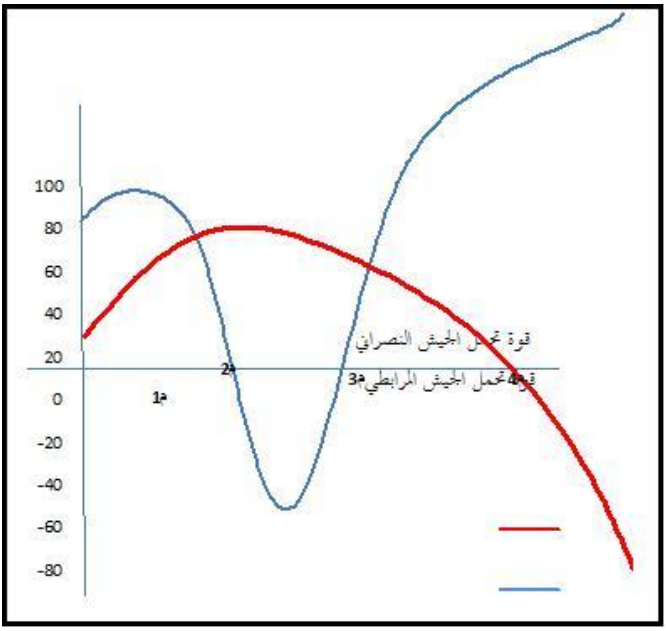

إذن من خلال مسار المعركة الذي قدمته المصادر يمكن تقسيم المعركة إلى أربع مراحل، وإذا افترضنا أن كل مرحلة تساوي 25 % من درجة التحمل، نجد أن القوات الأندلسية تراجعت وانسحبت في المرحلة الثانية بسبب الكثافة العددية للجيش النصراني في الصدام الأول، والذي أدى إلى الفرار نحو مدينة بطليوس، ثم ارتفاع هذا التحمل وتحوله من السلب إلى الإيجاب في المرحلة الثالثة بسبب دخول التعزيزات العسكرية ليوسف بن تاشفين التي أرسلها إلى المعركة ادت إلى ارتفاع الجانب النفسي وإعطاء منحى جديد للتحمل؛ أي انتقال قوة التحمل في المعركة بالنسبة للجيش المرابطي من +25% إلى -90% إلى +100%.

أما الجيش النصراني فإنه تحمل بنسبة 75% حتى المرحلة الثالثة أين بدأ الخوف والتراجع بعد دخول قوات يوسف بن تاشفين النوعية للمعركة، التي وجدت جيش نصراني منهك القوى، أثقلته الدروع أمام فرق مرابطية نوعية وأكثر

راحة حيث اختار ألفونسو السادس الفرار بصفة نهائية؛ أي انتقال قوة التحمل من +75% إلى -100%.

2- استراتيجية اختيار مكان المعركة: لم يكن اختيار المكان بمحض الصدفة بل كان مبنيا على حسابات دقيقة إسلامية ونصرانية على حد سواء، فكان المكان يتبع جغرافيا مملكة بطليوس وغير بعيد عنها، ثم أن مدينة بطليوس لم تكن بعيدة عن الجزيرة الخضراء التي تعتبر قاعدة إمداد حقيقية، فالزلاقة تتوفر على سهولة وصول الإمدادات الغذائية من بطليوس وإمكانية اللجوء إليها للاعتصام بها عند الضرورة لتكون مكانا يتربصون فيه لألفونسو السادس [1]، أي محاولة استدراج العدو وإخراجه من حصونه ودفعه للتنقل إلى مكان المعركة المختار مما يؤدي إلى الإرهاق بسبب ثقل السلاح وبعد المسافة، ثم أن اختيار الزلاقة خوفا من التوغل في أرض معروفة لدى العدو[2].

ويؤكد الأمير عبد الله صاحب كتاب التبيان أهمية هذا الاختيار بقوله: " ونحن إزاء المدينة متربصون (بطليوس) إن كانت لها فيها ونعمت، وإن لم تكن كانت وراءنا جرزا ومعقلا نأوي إليه، وأمير المسلمين يدبر هذا الأمر بحسن رأيه عسى أن تقع الملاقاة بتلك الناحية دون أن يخرج إلى التوغل في بلادهم [1].

3- استراتيجية الأصل القبلي المشترك الواحد: نلاحظ أن الجيوش الإسلامية في الزلاقة على الرغم من وحدة عقيدتها وهدفها إلا انها متباينة من حيث التركيبة النفسية والقيم والأساس الاجتماعي والتنوع في أساليب القتال،

---

(1)يوسف حوالة، المرجع السابق، ص 282، عبد القادر محمد جاد الرب، المرابطون ومعركة الزلاقة، مجلة بحوث، مركز الدراسات الإفريقية، الخرطوم، العدد 25، 26، 2001، ص 23.

(2) عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين 510-546هـ/116-1156، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1988، ص 138، 139.

(1) ابن بلكين الأمير عبد الله، مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان، تحقيق ليفي بروفنسال، ط1، دار المعارف، ص 106.

هذه العوامل تجمع الجمع بهذه الجيوش أمر محفوف بالمخاطر والمغامرة من الناحية الأمنية، كما ان مراقبتها وتوجيهها أثناء المعركة أمر بالغ التعقيد من الناحية العملية، ولتفادي كل هذا اختار يوسف الفصل بين الجيشين كل وقائده [2]، لأن هذا الأسلوب يخلق بين القبائل تنافسا فريدا في الحماسة والقتال والاندفاع فيه، لأن الزحف بالصفوف يتطلب هذه الحماسة لأنها تقوم على حمية المقاتل واندفاعه [3]

4- سرية ودقة الخطة المطبقة في الحرب: هي تصميم وفق الإمكانيات المتوفرة أو التي يمكن توفيرها فعلا، ووجب في وضعها أن تأخذ ردود فعل العدو من خلال تقدير احتمالات فعله وردود فعله، كما أن تماسك الخطة أمر ضروري لأنه يجعلها قادرة على مواجهة الانتكاسات الجزئية، ويضمن لها سرعة التنفيذ والسعي لحرمان خطة العدو منها، لأن كل طرف يريد إفشال خطة الآخر ولهذا لا بد من تأمين الأساليب التي تضمن حرية الحركة لتنفيذ الخطة[4]، ثم أنه من الضروري لمنع العدو من تغيير اتجاهه القيام بحركة مشاغلة أو أكثر قبل القيام بحركة التدمير الرئيسية، والهدف منها تشتيت انتباه العدو وتوزيع إمكانياته إلى أهداف غير مجدية[1].

إن الخطة الجماعية في الاستراتيجية المرابطية تنبثق من روح الجماعة، لذلك حرصت الاستراتيجية الإسلامية على ذلك بسبب الرغبة في التقليل من الرغبة الفردية التي تكون نتيجتها الرفقة والتنازع والشقاق، حيث رسمت خطة معركة

---

(2) عبد القادر محمد جاد الرب، المرجع السابق، ص23.

(3) ياسين سويد، الفن العسكري الإسلامي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط1، بيروت، 1988، ص 274، 275.

(4) منير شفيق، المرجع السابق، ص 75، 76.

(1) ج، ل، ليدل هاتر، الاستراتيجية وتاريخها في العالم، ترجمة الهيثم الأيوبي، طار الطليعة، بيروت، 2000، ص 280.

الزلاقة بالتنسيق والتشاور بين الأندلسيين والمغاربة في مجلس عسكري دقيق جدا.

نستنتج من ذلك التزام السرية والدقة في التخطيط وتوزيع المهام توزيعا هادفا ودقيقا والمباشرة بالقتال والحذر من كمائن ومناورات العدو، كل هذا طرح في المجلس العسكري قبل معركة الزلاقة [2].

5- التعبئة الاقتصادية الجيدة: لقد وقرت القيادة المرابطية في معركة الزلاقة إعدادا اقتصاديا دقيق أدى إلى تعبئة استراتيجية غذائية تموينية للجيش، حيث استغلت القيادة البيات التحتية للأندلس كسند لوجستيكي، ويقدم لنا الحميري هذه الاستزادات والتقوية، ففي الجزيرة الخضراء تم تزويد الجيش بالأقوات والضيافات بل أقاموا سوقا لذلك، كما استزادوا في إشبيلية، حيث أصدر المعتمد أوامرا إلى ولاة البلاد بجلب الأقوات والضيافات التي كانت كبيرة جدا أدهشت يوسف بن تاشفين نفسه ورضاه على الاستعداد الاقتصادي، حتى أن صاحب الحلل يجعل مكوثهم وأكلهم مدة ثلاثة أيام كاملة، ثم استزادوا في بطليوس حيث قدم صاحبها المتوكل عمر بن محمد الأقوات والضيافات والمأكولات الرغدة [3].

6- استراتيجية حرب المياه: الماء عنصر هام للجيش في المعركة لذلك استغل الطرفان هذه المادة الحيوية للتزود بها قبل المعركة، حيث يقول ابن أبي زرع: " وعسكر الروم نهر بطليوس حاجزا يشرب منه هؤلاء وهؤلاء " [1]،

---

(2) صالح محمد فياض أبو دياك، فنون القتال عند المرابطين والموحدين والحفصيين، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد مؤرخي العرب، العدد 39، السنة الخامسة عشر، بغداد، 1988، ص 234، عبد الرحمان عميرة، المرجع السابق، ص 180.

(3) الحميري، المصدر السابق، ص 87، 90، مؤلف مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 52.

(1) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 146.

ويؤكد كذلك هذه النظرة المرادي بقوله: " واحتل للشمس أن تكون معك وقت اللقاء... وللماء والمرعى أن يكونا وقت النزول " [2].

إذن فاختيار ابن تاشفين للزلاقة القريبة من بطليوس لتوفره على معطيات هامة وعلى رأسها الماء، خاصة وأن الزلاقة فحص يقع على أحد نهيرات وادي أنه إلى الشمال الشرقي من بطليوس، ويسمى جيربرو، فهذا النهر يستمد مياهه من البحر المحيط، ويقع هذا النهر من فحص فج العروس ويفيض بين ماردة وبطليوس[3].

7- استعمال الإبل كسلاح نفسي واستراتيجي: لقد استخدم يوسف بن تاشفين في معركة الزلاقة أسلوبا فريدا من نوعه وهو إدخال عنصر الجمال [4] في المعركة ذلك أن جمال المرابطين وأصوات طبولهم الهائلة قد أحدثت اضطرابا في صفوف خيالة العدو التي صارت تجمح براكبيها في المعركة [5]، فأثارت الخوف والفزع والفوضى، حيث نجد أن المرابطين في الزلاقة أقاموا صفا من الإبل كدروع لوقف القوات المهاجمة، فكانت خيل العدو تفر فزعا منها، وهذا

---

(2) المرادي، كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة، تحقيق محمد حسن محمد وآخرون، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2003، ص 63.

(3) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق وترجمة لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، ج1، مدريد، 1983، ص ، فلنتينا سليمان عفانة، مملكة إشبيلية 414-484 /1023-1069 زمن بني عباد وعلاقاتهم الداخلية والخارجية، ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ص 152، جاد الرب، المرجع السابق، ص 25.

(4) يجمع بعض الباحثين أن الجمال عرفت بالأندلس إبان المرابطين الذين أدخلوها كهدف استراتيجي في معركة الزلاقة، ولكن هناك دراسات تثبت وجود هذا النوع في الاندلس قبل المرابطين، أمثال ليفي بروفنسال، ذلك ان المنصور ابن أبي عامر ادخلها للأندلس أثناء حملاته العسكرية ضد الإفرنج، وفي حالة السلم كان يحتفظ بها في سهول مرسة، كما يؤكد الباحث محمد الحناوي أن هذه الثروة موجودة قبل ابن أبي عامر ويعتمد على إشارات قدمها ابن حيان في المقتبس أثناء أحداث 363 هجرية أي عهد الحكم المستنصر، وعددها مائة وثلاثون جملا بعث بها بنو خزر من العدوة (أنظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج 7، ص 116، ليفي بروفنسال، Lhistoire de l'epagne, tom3, op.cit, page 286.

(5) صالح زهر الدين، موسوعة معارك العرب، دار الندوة الجديدة، ط1، بيروت، 2000، ص 438.

أدى إلى التشتيت الذهني وعدم التركيز بالنسبة للفارس وانعدام توازنه على الفرس، كما كانت تستخدم أيضا لنقل الأحمال الثقيلة وهناك جند تخصصوا في التدريب على القتال بواسطة الجمال دون الخيول، كما عبروا كذلك الفيلة فكان تكتيكا فريدا من نوعه، يقول ابن خلكان: " فعبر منها ما أغص الجزيرة وارتفع رغاؤها إلى عنان السماء و لم يكن أهل الجزيرة رأوا قط جملا ولا كانت خيلهم قد صورها ولا سمعت أصواتها " [1].

8- استراتيجية نظام الصف في القتال: لقد اتبع يوسف ابن تاشفين في هذه المعركة نظام الصفوف أو ما يعبر عنه بالزحف وهو ترتيب المقاتلين بصفوف مستوية متعاقبة، حيث كان رجال الصف الأول هم المسلحون بالرماح الطويلة ويحثون على ركوبهم ويحمون انفسهم بالتروس من نبال الأعداء، ويقومون بغرس رماحهم الطويلة في الأرض موجهين رؤوسها إلى الاعداء، ويتمركز النبالون خلف المشاة حاملي الرماح ويرمون العدو فوق رؤوسهم، كما نجد ان هناك صفا من الخيول وهم أمام الرجالة، وهذا الأخير يعني ضبط النظام بحيث لا يتقدم أحد أو يتأخر لذلك لم يكن من السهل على المقاتل أن يفكر في التراجع او الهزيمة، ولاحظنا عدم تطبيق هذا النظام في المراحل الأولى من المعركة والذي أدى إلى فرار القوات الأندلسية نحو بطليوس مما أحدث خللا في الصف والخطة [2].

بالنسبة لنوع نظام الصف الذي اتبعه يوسف في معركة الزلاقة هو الصف المستوي، وهو من أهم أنواع الصفوف التي تستعمل في البطحاء والسهول وهو

---

(1) ابن خلكان أبو العباس، وفياة الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج7،1994، ص 116، حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص 280، ابن الخطيب لسان الدين، رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، 1898، ص 51، 52.

(2) الطرطوشي، سراج الملوك تحقيق محمد فتحي، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، 1961، ص ، فاروق عمر فوزي، التعبئة وأساليب القتال، د.ط، ج4، بغداد، 1988، ص 205، 206.

مستحب، لأن الصف الهلالي الخارج الجناحين الداخل الصدر وأوثق للقلب ويشترط في هذا النوع من الصف أن تحمي الجناحين الخيل المقوية وتكون وقاية له، أما الصف المعطوف وهو الداخل الجناحين الخارج الصدر من الصفوف الضعيفة غير الآمنة وسريعة الانهزام على حد تعبير المرتمي[3].

9- استراتيجية ودور العيون في المعركة: لقد لعبت العيون أو ما يسمى حديثا بالجهاز المخابراتي المرابطي دورا هاما في تحقيق هذا النصر من خلال جمع المعلومات الكبيرة والصغيرة عن العدو وعن أهمية المنطقة، فحدث نوع من حرب الجواسيس بين الطرفين، وكان المعتمد بن عباد موجها وقائدا حقيقيا لهذا الجهاز أمام جهل المرابطين بالمنطقة، بل أنه قام بمراقبة دقيقة بنفسه شخصيا فقد أكثروا العيون وبثوا الطلائع يترصدون تحركات العدو وهم على خيل سريعة، ومن الادلة التي تثبت هذا النشاط كشف خدعة ألفونسو السادس في اختيار يوم المعركة، حيث يقول الحميري: "ثم جاءت الجواسيس من داخل محلات ألفونسو السادس يقولون استقرنا السمع الساعة فسمعنا ابن فرذلاند يقول لأصحابه ابن عباد مسعر هذه الحروب وهؤلاء الصحراويين... غير عارفين بهذه البلاد وإنما قادهم ابن عباد فاقصدوه واهجموا عليه، وغن انكشف لكم هان عليكم هؤلاء الصحراوين بعده "[1].

10- استراتيجية وتكتيك استعمال السلاح في المعركة: لقد لعب السلاح دورا مهما في تحديد مسار المعركة، فكانت القيادة المرابطية موفقة إلى حد بعيد في توزيع تكتيكي للسلاح في المعركة ونجاعته، حيث استعملوا سيوف الهند،

---

(3) المرتمي صاحب المأمون، مختصر سياسة الحروب، تحقيق عبد الرؤوف عون، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر، ط1، القاهرة، 1961، ص 36، 36.

(1) الحميري، المصدر السابق، ص 290، حامد محمد الخليفة، المرجع السابق، ص 146، نصر الله سعدون عباس، دولة المرابطين في المغرب والأندلس في عهد يوسف بن تاشفين، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1985، ص 88.

مزاريق الزان، درق اللمط والأطاس[2]، كما استعمل المرابطون السهام في معاركهم بالأندلس والتي لا تزال لحد الآن في أرض المعركة، وهذه حقيقة يذكرها عبد الله عنان وهو كثرة السهام الباقية في مكان المعركة، بحيث يستطيع أي سائح إذا حفر الأرض بيده أن يحصل على سهم، وقد وقع الأستاذ عنان فعلا على بعض هذه السهام في أرض المعركة، وهذا يعني أن السهام المرابطية لعبت دورا أساسيا في فصول المعركة ونهايتها، في مرحلة ما قبل الصدام والاحتكاك لإضعاف العدو معنويا ونفسيا[1].

ما بعد المعركة:

1- استراتيجية الإشهار الإعلامي للانتصار: لقد جهزت الدولة المرابطية رسائل وخطابات بينت من خلالها أهمية هذا الانتصار وغرسه في نفوس المسلمين عن طريق عبارات الاعتزاز والفخر، وتعد رسالة يوسف بن تاشفين وثيقة مهمة للمعركة تقدم وجهة نظر المسلمين وتصورهم لها، حيث تتناول وقائعها بالتفصيل من التاريخ والتنظيم والأسلحة المستعملة والأعداد المشاركة، والتي كانت موجهة إلى عماله وعامة الناس بالمغرب [2]، كما بعث المعتمد بن عباد إلى ابنه الرشيد يبشره بانتصار المسلمين على أعدائهم كتبها بعد المعركة مباشرة، ورسالة أخرى إلى عماله وعامة الناس بإشبيلية [3]، وذاع خبر هذا الانتصار في جميع الأفكار وقرأ في المساجد وأقيمت صلاة الشكر [4].

---

(2) وهو على هيئة خنجر مقوس يستعمل في القتال المتلاحم، وهو سلاح لم يعرفه الإسبان بدليل أن ألفونسو أصيب به بطعنة فظنه منجلا انظر: مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 43.

(1) حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 280، غنجق رابح، المرجع السابق، ص 161.

(2) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 150.

(3) حسن جلاب، التجليات الأدبية لمعركة الزلاقة – ندوة يوسف بن تاشفين–، منشورات مؤسسة البشير للتعليم الحر، ط1، عدد1، أفريل 2002، مراكش، الحلل، المصدر السابق، ص 37، 64.

(4) عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، أكاديمية المملكة المغربية، المجد الخامس، 1987، ص 73.

2- الأخطاء التكتيكية في المعركة: ارتكب يوسف خطأ تكتيكيا حين أحجم عن مطاردة النصارى المنهزمين، ولو فعل ذلك لكان سحقا للمملكة النصرانية، فقد أتاح هذا الإحجام لألفونسو السادس أن ينهض ويعيد تنظيم صفوفه، ويرجع المؤرخين هذا الإحجام إلى متغيرات طارئة حتمت عليه عدم المجازفة، كتخاذل ملوك الطوائف وانتشار الأنانية، ونبأ وفاة ابنه الأكبر وولي عهده واضطراب الوضع في المغرب الأقصى حتم عليه التعجيل في العودة [5].

كما ارتكب ألفونسو السادس خطأ تكتيكي حين قام بمطاردة المسلمين دون أن يؤمن ظهره بفرقة عسكرية، الأمر الذي اتاح ليوسف أن يفاجئ حراسه ومعسكره فيقتل معظمهم [1].

بالنسبة لأعداد الجيش كانت مرتفعة حسب إحصائيات المصادر وهذا أمر معقول نظرا لنجاح التعبئة والحشد للطرفين، حيث نلاحظ أن الطرف النصراني أقنع كل من أراغون، نبيلونة، جويانا، بروفانس، أرغونية، أما الطرف الإسلامي فأقنع كل من غرناطة ومالقة وألميرية، الثغر الأعلى، طليطلة، إشبيلية فبلغ عدد المسلمين حسب الروايات ما بين 130 ألف، 48 ألف، أما النصارى من 80 ألف إلى 180 ألف [2].

إن موضوع أعداد الجيش يعتبر من بين القضايا الشائكة التي يصعب الحسم فيها لأنها لها علاقة مباشرة بمصداقية المصادر وموضوعيتها، ولا شك أن المعلومات المتوفرة تذهب وتتعمد التضخيم والمغالاة، سواء في إحصاء جند

---

(5) الحميري، المصدر السابق، ص 93، فارس بوز، الصراع على إشبيلية بين ألفونسو السادس ويوسف بن تاشفين 404-484/1013-1091، مجلة دراسات تاريخية، العددان 69، 70، تموز-كانون، 1999، ص 45.

(1) محمد طقوس، تاريخ المسلمين في الأندلس 91-897هـ/710-1492، دار النفائس، ط1، بيروت، 2005، ص 492.

(2) محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 75، مذكرات الأمير عبد الله، المصدر السابق، ص 104، يسوف أشباخ، المرجع السابق، ص 84، مؤلف مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 38.

الأعداء أو قتلاه، وفي المقابل تقلل من عدد الجند والقتلى في الجانب الآخر وهذا مما يصعب التأكد من المعلومات، لذلك يختلط الواقع التاريخي بالأساطير كقول صاحب الحلل في عدد القتلى " قتل ثلاثمائة ألف ... وقطع رؤوس النصارى وكدس منها أكداس كالصوامع، وبلغ عدد الرؤوس أربعة وعشرون ألف رأس"[3].

ولكن إذا نظرنا إلى الولايات المتسعة في مملكة ألفونسو السادس يحتمل خروجه بمقدار كبير يفوق مائة ألف لقتال عدو يشعر بخطره بعد التحالف الإفريقي والأندلسي عليه، كما لا يعقل أن يوسف بن تاشفين يعبر الأندلس بأقل من أربعين ألف إلى خمسين ألف، وهو مقدم على الحرب في بلاد غريبة[4].

وما نخلص إليه هو أن معركة الزلاقة من أهم المعالم الحربية في التاريخ الإسلامي ودليلا قاطعا على كل من شكك في عدم وجود مدرسة عسكرية إسلامية، إذ بينت لنا هذه المعركة مدى النضج التكتيكي للعسكرية الإسلامية ومسايرتها للتطورات آنذاك عكس ما ذهب إليه رينهارت دوزي وليفي بروفنسال وهنري تيراس وهوثي ميراند من جمود التفكير العسكري الإسلامي في الأندلس.

(3) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 62.

(4) بطرس البستاني، معارك العرب في الأندلس، دار مارون عبود، بيروت، 1987، ص 27.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة

أ- المصادر:

1- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وفاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.

2- ابن الخطيب لسان الدين، رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، 1898.

3- ابن بلكين الأمير عبد الله، مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان، تحقيق ليفي بروفنسال، ط1، دار المعارف.

4- ابن خلكان أبو العباس، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج. 7، 1994.

5- الحميري عبد المنعم، صفة جزيرة الأندلس، دار الجيل، ط1، بيروت، 1988.

6- الطرطوشي، سراج الملوك تحقيق محمد فتحي، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، 1961 .

7- مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وآخرون، دار الرشاد الحديثة، ط1، الدار البيضاء.

8- مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق وترجمة لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، ج1، مدريد، 1983.

9- المرادي، كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة، تحقيق محمد حسن محمد وآخرون، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2003.

10- الهرثمي صاحب المأمون، مختصر سياسة الحروب، تحقيق عبد الرؤوف عون، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر، ط1، القاهرة، 1961.

ب- المراجع:

1- بطرس البستاني، معارك العرب في الأندلس، دار مارون عبود، بيروت، 1987.

2- بلهول نسيم، أبجديات الثقافة الحربية، دار هومة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2008.

3- ج، ل، ليدل هاتر، الاستراتيجية وتاريخها في العالم، ترجمة الهيثم الأيوبي، طار الطليعة، بيروت، 2000.

4- جان بيريه، الذكاء والقيم المعنوية في الحرب، ترجمة أكرم ديري، الهيثم الأيوبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 1986.

5- حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين.

6- حسن جلاب، التجليات الأدبية لمعركة الزلاقة – ندوة يوسف بن تاشفين- منشورات مؤسسة البشير للتعليم الحر، ط1، عدد1، أفريل مراكش، 2002.

7- شوقي أبو خليل، الزلاقة، دار الفكر، بيروت، د.ت.

8- صالح زهر الدين، موسوعة معارك العرب، دار الندوة الجديدة، ط1، بيروت، 2000.

9- صالح محمد فياض أبو دياك، فنون القتال عند المرابطين والموحدين والحفصيين، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد مؤرخي العرب، العدد 39، السنة الخامسة عشر، بغداد، 1988.

10- عبد الرحمان عميرة، الاستراتيجية الحربية في إدارة المعارك في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،2006 .

11- عبد القادر محمد جاد الرب، المرابطون ومعركة الزلاقة، مجلة بحوث، مركز الدراسات الإفريقية، الخرطوم، العدد 25، 26، 2001.

12- عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، أكاديمية المملكة المغربية، المجد الخامس، 1987.

13- عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين 510-546هـ/116-1156، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1988.

14- غنجق رابح، السياسة الداخلية لدولة المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين 454-500هـ/1062-1106، دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الإسلامي، جامعة قسنطينة، 1980-1981.

15- فارس بوز، الصراع على إشبيلية بين ألفونسو السادس ويوسف بن تاشفين 404-484/1013-1091، مجلة دراسات تاريخية، العددان 69، 70، تموز-كانون، 1999.

16- فاروق عمر فوزي، التعبئة وأساليب القتال، د.ط، ج4، بغداد، 1988.

17- فتحي زغروت، الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط1، القاهرة، 2005.

18- فلنتينا سليمان عفانة، مملكة إشبيلية 414-484 /1023-1069 زمن بني عباد وعلاقاتهم الداخلية والخارجية، ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

19- محمد صفا، في الحرب، دار الرؤية العلمية للطباعة والنشر، ط2، القاهرة، 1982.

20- محمد طقوس، تاريخ المسلمين في الأندلس 91-897هـ/710-1492، دار النفائس، ط1، بيروت، 2005.

21- محمد عبد الله سالم العمايرة، المعجم العسكري المملوكي، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، ط1، 2011، الأردن.

22- نصر الله سعدون عباس، دولة المرابطين في المغرب والأندلس في عهد يوسف بن تاشفين، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1985.

23- نهاد يوسف الثلاثيني، الأمن العسكري في السنة النبوية، دراسة موضوعية تحليلية، بحث تكميلي لمتطلبات الماجستير في الحديث الشريف وعلومه، الجامعة الإسلامية غزة، 2007.

24- ياسين سويد، الفن العسكري الإسلامي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط1، بيروت، 1988.

25- يوسف أحمد حوالة، بنو عباد في إشبيلية 414-484/1023-1091، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، 1980.

26- يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، ط2، القاهرة، 1996.

27- Levi Provençail: L'histoire de l'Espagne, tom3.